ملخص كتاب

مستقبل الوسطية في الثقافة العربية

حسن حنفي

في ظل ما تشهده الساحة العربية الإسلامية من تطرُّف ومظاهر عنف؛ تسعى الدراسة إلى التأسيس النظري والمفهومي والإطاري للوسطية في الثقافة العربية الإسلامية؛ فتبدأ بتحديد المفهوم الفلسفي للوسطية منذ أرسطو، مروراً بالفارابي، وصولاً إلى فلسفة العصر الحديث. وتناقش الدراسة الموضوع من زوايا مختلفة، تشمل البعدين الاجتماعي والتاريخي، وموقع الوسطية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وفي الحركات الإسلامية المعاصرة.

وتشمل الدراسة مقاربة الوسطية من زوايا العلمانية، والتعددية الفكرية، وصورة الآخر، والديمقراطية، وترى أن مفهوم الوسطية له جذوره الإسلامية في القرآن الكريم "أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ"؛ وفي الحديث "خير الأمور الوسط"؛ فالتوسط شيء تقبله النفس على عكس التطرف؛ لكن الوسطية أحياناً تكون كلمة حق يُرَاد بها باطل؛ إذ قد يكون الهدف منها وأد الصراع الاجتماعي، أو إنهاء الصراع بين الحق والباطل؛ فليست كل الأمور يكمن الخير في وسطها؛ إذ لا وسط بين الغني والفقير إلا بالمساواة والعدالة الاجتماعية، ولا وسط بين الظالم والمظلوم إلا بأخذ الحق من الظالم وإعطائه للمظلوم؛ لذلك نرى القرآن الكريم يعبّر عن الموقف الوسطي أحياناً، ويرفض الوسطية أحياناً أخرى، حين تكون المواجهة بين الحق والباطل "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا".

كما تناولت الدراسةُ الوسطيةَ بصفتها ظاهرة تاريخية تنشأ نتيجة ظروف تؤدي إليها، وبالتالي ليست ظاهرة مقدسة؛ وهو أمر لا يقتصر على الظاهرة الدينية وحدها، بل يشمل جميع الظواهر الإنسانية، الاقتصادية والسياسية والفلسفية؛ ولذا تغدو الوسطية نسبية وفقاً للظروف التاريخية. وفي السياق التاريخي هذا، يستمد الإسلام وسطيته من سياق التطور من اليهودية دين القانون، إلى المسيحية دين المحبة، إلى الإسلام دين القانون والمحبة والاختيار الحر بينهما. وفي ضوء ذلك تتناول الدراسة ظاهرة التطرف في الإسلام السياسي، سواء على مستوى التجربة السلفية، التي ظلت في بعض اتجاهاتها أسيرة النص من دون إعمال للعقل في النقد الداخلي، ومن دون تطوير لأساليب النقد الاجتماعي لعيوب الأمة وممارساتها وفهمها للدين، أو على مستوى تجربة الإخوان المسلمين مع التطرف والوسطية في ظل حكم المرشد.

وترى الدراسة أنه يمكن الوصول إلى الوسطية عن طريق "الفكر الإسلامي العلماني"، أو "الفكر الإسلامي الحداثي"؛ إذ تقوم العلمانية على قيم كالعقل والحرية والكرامة الإنسانية والعدالة

الاجتماعية، كما أن الإسلام يقوم على مقاصد الشريعة، أي الحياة ضد القتل، والعقل ضد الجهل، والدين كنسق قيم أخلاقي ضد البراجماتية النفعية؛ وفي البعد الاجتماعي تركز الدراسة على صورة الإسلام بصفته ثورة من أجل العدالة الاجتماعية ورفض الظلم؛ فالأنبياء كانوا ثواراً يسعون إلى تغيير المجتمع من الظلم إلى العدل والمساواة، ومن الاستبداد إلى الحرية؛ فجوهر الإسلام هو الثورة ضد الظلم والاستبداد، وضد سوء توزيع الثروة؛ فالإسلام أشبه بلاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية الذي يحرر الإنسان من القيود الاجتماعية والسياسية كافة.

ولا تتم الوسطية إلا في جو ديمقراطي يسمح بحرية الفكر وتبادل الرأي، أما التعصب والتمسك بالرأي فيؤديان إلى التطرف، ولا تعني الديمقراطية النظام السياسي فحسب، بل النظام الفكري أيضاً، وسماع الرأي الآخر، وتبادل المشورة "وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ"، والوسطية ليست تنازلاً عن الدعوات والمطالب، بل هي الحصول عليها بالتقارب طبقاً للآية الكريمة "وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ".

وتخلص الدراسة إلى أن الوسطية تتطلب إعادة تأسيس الفكر العربي الإسلامي في كل أبعاده السياسية والاقتصادية والقانونية والاجتماعية والإعلامية، ومن ثمَّ فإن الإسلام السياسي الوسطي هو الذي يمد يده إلى بقية التيارات السياسية في ائتلاف وطني واحد دفاعاً عن مصلحة وطنية واحدة هي الحاضنة السياسية لكل التيارات، علمانية ودينية، مدنية وإسلامية؛ فالوسطية الإسلامية قادرة على التعامل مع بقية المذاهب الاقتصادية، الشيوعية والماركسية والانفتاح والخصخصة؛ وهي القادرة على تأسيس المذاهب القانونية، ومدارس القانون الإلهي، والقانون الطبيعي، والقرآن الاجتماعي. وهكذا لا يمكن الوصول إلى الوسطية إلا بالتعددية الفكرية التي تقضي على التطرف والتشدد والتزمُّت للرأي الواحد.